

بيت التعميد بالحي المسيحي بمدينة كويكول

د. فورالي حميدة¹

مخبر البناء الحضاري للمغرب الاوسط الجزائر LECMMA

معهد الاثار / جامعة الجزائر 2

البريد الالكتروني: hamida.fourali@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/20م. تاريخ القبول: 2025/02/23م. تاريخ النشر: 2025/12/31م

ملخص:

يكتسي بيت التعميد بالحي المسيحي لمدينة كويكول المسيحية القديمة اهمية من الجانب الاثري، لتميزه بعمارة دينية وتفاصيل ليتورجية ممثلة في جزئياته العمرانية والرمزية المنجزة من خلال المواد وتقنيات البناء، تعبر عن احساس وعقيدة الانسان الكويكولي في الفترة المسيحية القديمة.

الكلمات المفتاحية: بيت التعميد، المسيحية المبكرة، جميلة (كويكول)، سر التعميد، ملحقات.

Abstract:

This research paper explores the Baptistry in the Christian Quarter of the ancient city of Djemila (Cuicul), focusing on its archaeological and architectural significance within the context of early Christian rituals. The study highlights the baptistry's role in the Christian initiation process, particularly the sacrament of baptism, which was a pivotal rite of passage for converts in late antiquity.

Key words: Baptistry, Paleochristianity, Djemila (Cuicul), Baptismal Rituals, Annexes.

¹- المرسلة.

جاءت فكرة هذا المقال بعد أن قدمت مداخلة بعنوان "بيت التعميد في الحي المسيحي بمدينة جميلة الأثرية"، في إطار ندوة وطنية علمية حملت عنوان: العمران والعمارة بمدينة جميلة الأثرية في الفترة القديمة. هذه الندوة كانت جزءًا من مشروع بحث PRFU تحت عنوان "أبرشية كويكول"، والتي عقدت يوم 18 ماي 2022م في مقر مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط بالجزائر.

على الرغم من أن موضوع بيت التعميد ليس جديدًا في الدراسات الأثرية، إلا أنه يظل موضوعًا مهمًا من حيث الطرح والتحليل، خاصة فيما يتعلق بدور هذا المبنى في الفترة المسيحية القديمة وكيفية تحول المترشح للتعميد من شخص غير مسيحي إلى مسيحي عبر طقوس معينة ومحددة. ومع ذلك، فإن هذا الموضوع لم يحظَ بالاهتمام الكافي من قبل العديد من الباحثين الجزائريين، مما يجعل دراسته ذات أهمية خاصة.

تم التركيز في هذا المقال على بيت التعميد في مدينة جميلة (كويكول) من الجانب الأثري، حيث تم التطرق إلى العمارة واللقى الأثرية المكتشفة فيه، بالإضافة إلى دراسة العلاقة بين الإنسان وهذا المعلم الديني. حاولت أيضًا وضع المبنى في سياقه الأثري والتاريخي لفهم دوره ووظيفته بشكل أفضل خلال الفترة التي شُيد فيها.

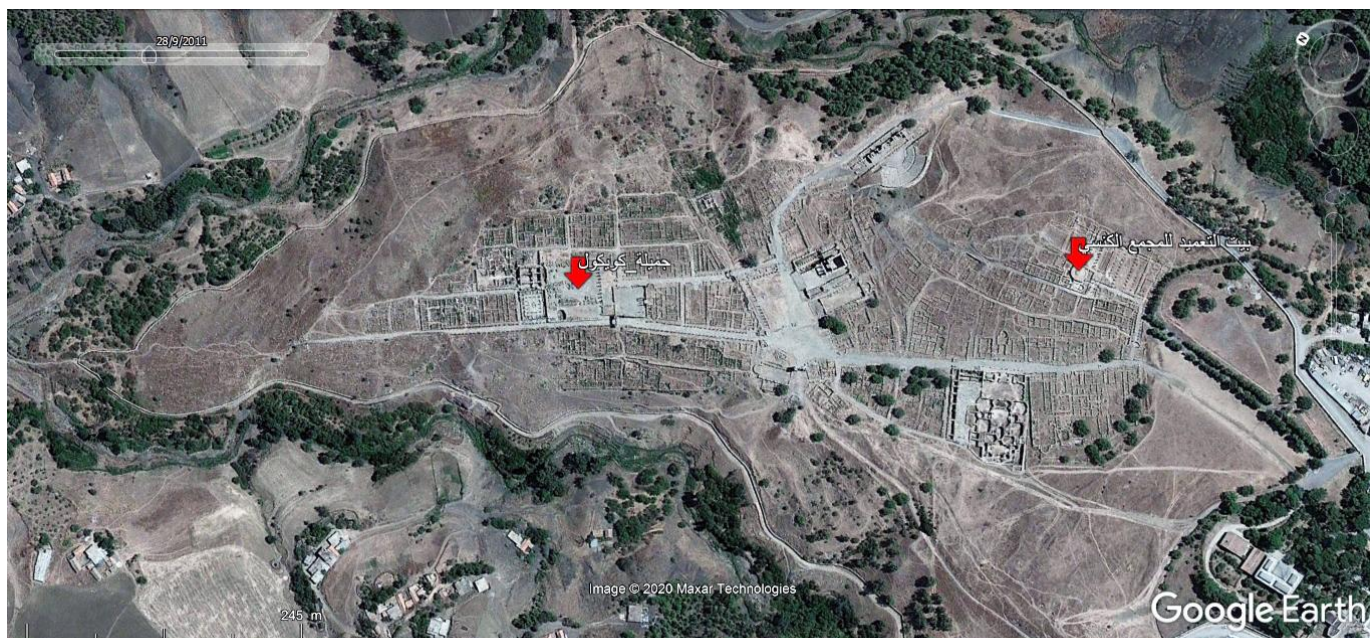
من خلال هذه الدراسة، تم تسليط الضوء على أهمية بيت التعميد كجزء من التراث المسيحي القديم في بلاد المغرب، وكيف كان هذا المبنى يمثل نقطة تحول في حياة الأفراد الذين اعتنقوا المسيحية. كما تم عرض الجوانب المعمارية والطقسية التي جعلت من بيت التعميد مكانًا فريدًا ومهمًا في تاريخ العمارة الدينية.

هذا المقال يأتي كمحاولة لإعادة إحياء الاهتمام بهذا المعلم الأثري، ودعوة للباحثين إلى استكشاف جوانب أخرى كل حسب تخصصه، يمكن أن تقدم إضافة ليتم استغلاله بالكيفية اللازمة في الموقع الأثري لجميلة.

يعتبر بيت التعميد المكان الوحيد الذي يتحول فيه الانسان غير المسيحي الى مسيحي²، فمن وجهة النظر المعمارية فهو مبنى قائم بذاته، ويحتوي على ملحقات تابعة له³. يعتبر طقس التعميد الذي يقام في بيت التعميد هو أصل المسيحية من دونها لا يمكن للإنسان أن يصبح مسيحي.

موقع بيت التعميد المسيحي في المدينة الاثرية:

يوجد بيت التعميد في الحي المسيحي الذي يوجد جنوب النواة القديمة لمدينة كويكول للفترة الرومانية، في منطقة التوسع العمراني لفترة القرن الرابع الميلادي (الصورة الجوية 01).
واحداثياته الجغرافية حسب قول إيرث: 36°19'8.89"N 5°44'15.19"E.



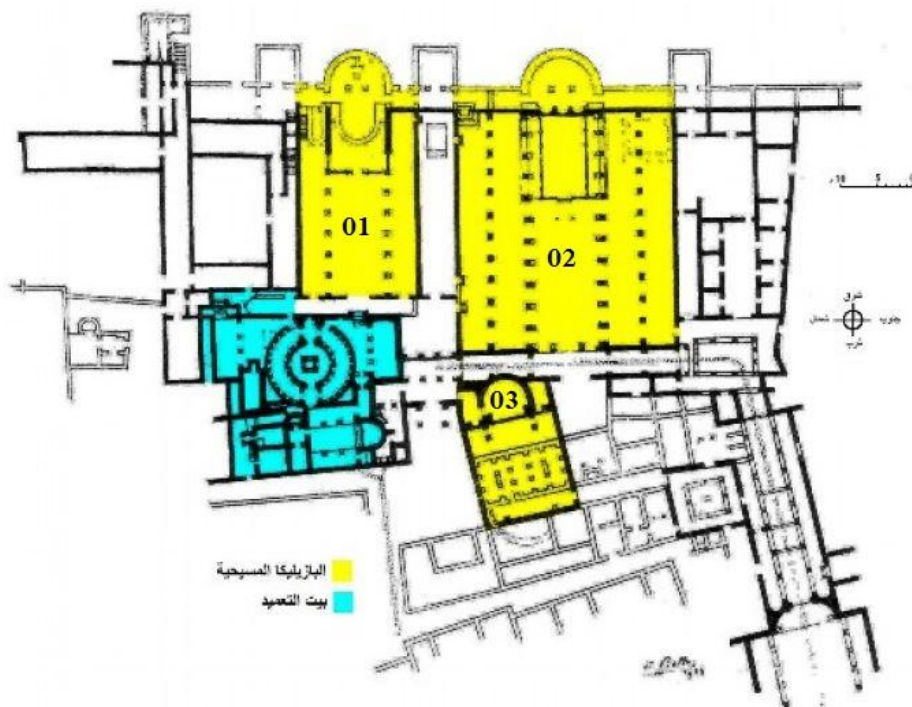
الصورة الجوية 01: يمثل موقع بيت التعميد من الحي المسيحي ومن النواة القديمة لمدينة كويكول للفترة الرومانية. عن قول إيرث 2020م.

يقع بيت التعميد في الحي المسيحي، غرب المجمع الكنسي المكون من بازيليكيتين مسيحيتين وشمال البازيليكا الثالثة المسماة المصلى (المخطط 01). حيث يتصل بالبازيليكا المسيحية

² يكون التعميد صالحا مرة واحدة في العمر لدى الكاثوليكين مهما اقدم المسيحي على اعمال تتنافى والدين المسيحي كالارتداد عن الدين، فيكفي التوبة والرجوع الى الطائفة المسيحية، وانما حسب التفكير الدوناتي، فيجب على المسيحي المذنب المرتد ان يعمد من جديد ليتم قبوله في الطائفة المسيحية ويصبح مسيحي.

³ DE BRUYNE, L., 1957, p. 341.

الأولى عبر مدخل يؤدي إلى النارتكس، ومنه إلى الجناح الأوسط لحيز العبادة. بني بيت التعميد في مستوى أخفض من مستوى أرضية الأجنحة للبازيليك الأولى بـ 1.75م لوجوده في منحدر لسفح قمته بنيت فيه البازيليكا الأولى. بني بيت التعميد بين فناءين (**المخطط 04**): شمالي وجنوبي، وبين الحمامات الصغيرة غربا.



المخطط 01: يمثل موقع بيت التعميد في الحي المسيحي. عن: فورالي، حميدة، 2018م، لوحة 08، ب.

قبل التطرق إلى المعطيات الأثرية المعمارية لبيت التعميد بمدينة كوبكول، لا بأس بأن نعطي لمحة وجيزة عن تعريفات صغيرة حول مراحل سر (طقس) التعميد التي تتم في مكونات مخطط بيت التعميد النموذجي لكي يتسنى للقارئ أن يتبعها في بيت التعميد الكويكولي.

تعريف سر التعميد:

يتلقى الإنسان سر التعميد بفضل الماء المقدس، وبذلك ينقي نفسه من الخطايا. وبالتالي، فإنه يجسد قيامته الروحية وإعادة إحياءه من جديد في حياة أخرى جديدة، وبعدها يتلقى الإفخارستية⁴ التي تعتبر الضمان للحياة الأبدية لروحه⁵.

يتم الدخول إلى المسيحية في الفترة القديمة عبر ثلاث مراحل: التحضير الطويل لمرحلة الوعظ، والتحضير المكثف لسر التعميد والطقوس الخاصة بالإفخارستية (الفصح=pâques)⁶.

1. الوعظ=الكاتيشومينا (Catéchuménat):

منذ الفترات الأولى للكنيسة⁷، فرض الحواريون على كل مترشح⁸ للتعميد أن يقر بعقيدته، وأن يقرر تغيير عاداته اليومية القديمة (الوثنية) إلى العادات الجديدة المسيحية⁹. ابتداءً من حوالي سنة 170م، بدأت تظهر بوادر تنظيم مرحلة الوعظ للأشخاص الذين يريدون الالتحاق بالمسيحية¹⁰. فكثر العدد وأصبحت الكنيسة غير قادرة على التحكم في الوضع، فابتكر ترتوليانوس¹¹ شرطين للدخول في مرحلة الوعظ¹²، لذلك حددت قوانين خاصة بسر التعميد وبصفة دقيقة منذ القرن الرابع الميلادي، كذلك حددت طقوس تحضيرات الموعوظين بصفة كاملة ودقيقة¹³.

⁴- تسمى بـ"القداس الإلهي". يمثل هذا الطقس رمزية العشاء الأخير، الذي نشطه يسوع وأصحابه (حوارييه-رسله)، عندما أقدم المسيح على مشاركتهم الخبز والخمر، على أساس أن الخبز لحمه والخمر دمه، والذي يسمى أيضاً عشاء الرب الأخير. عن: فورالي، حميدة، 2018م، ص. 13.

⁵- IAMANIDZÉ, N., 2010, p. 29. ؛ فورالي، حميدة، 2018م، ص. 03.

⁶- SAXER, V., 1985, p. 174.

⁷- للمزيد من التفصيل حول تعريف الكنيسة يراجع: حاجي، ياسين رابح، 2008م، ص. 01.

⁸- يقصد به الشخص الذي يريد التعميد، أي بعد تلقيه تعاليم الديانة المسيحية في مرحلة الوعظ.

⁹- TERTULLIEN, 1952, p. 29.

¹⁰- Ibid., p. 30.

¹¹- هو كوينتوس سبتيميوس ترتوليانوس، ولد في قرطاجة في حوالي سنة 155م، في عائلة ميسورة الحال، حصل علوم عصره من فلسفة وحقوق، حيث مارس على إثرها المحاماة في روما. دخل إلى المسيحية سنة 193م. للمزيد عن هذه الشخصية يراجع: فورالي، حميدة، 2018م، ص. 04، الهامش 25.

¹²- للمزيد من التفصيل حول هذه المرحلة يراجع: فورالي، حميدة، 2018م، ص ص. 03-06.

¹³- LECLERCQ, H. ; CABROL, F., 1925, col. 310. Baptême. ; CASTELFRANCHI, M-F., 1980, p. 07.

2. سر التعميد:

هو اخذ الشخص الذي يريد التعميد إلى مكان وجود عنصر الماء، مهما كانت نوعيته ومكانه: ماء الواد، أو ماء البحر، أو ماء النافورة، أو ماء المنبع في الهواء الطلق. ولجعل الماء مقدس وصالح لسر التعميد، كان الأسقف يَرْقي الماء بكلمات يرددها قائلاً: "... أباركك، أنت الماء المخلوق، باسم الإله (الله) الذي جرّاك من منبع الجنة، وقمت بإرواء كل الأرض عبر الأنهر الأربعة،.. الخ". ولسر التعميد وجهان: وجه منظور وآخر غير منظور¹⁴.

3. الإفخارستية

بعد التعميد، يقاد المسيحي الجديد إلى حيز العبادة للبازيليك المسيحية ليكمل طقس الإفخارستية للدخول في المسيحية¹⁵.

بيت التعميد معمّارياً:

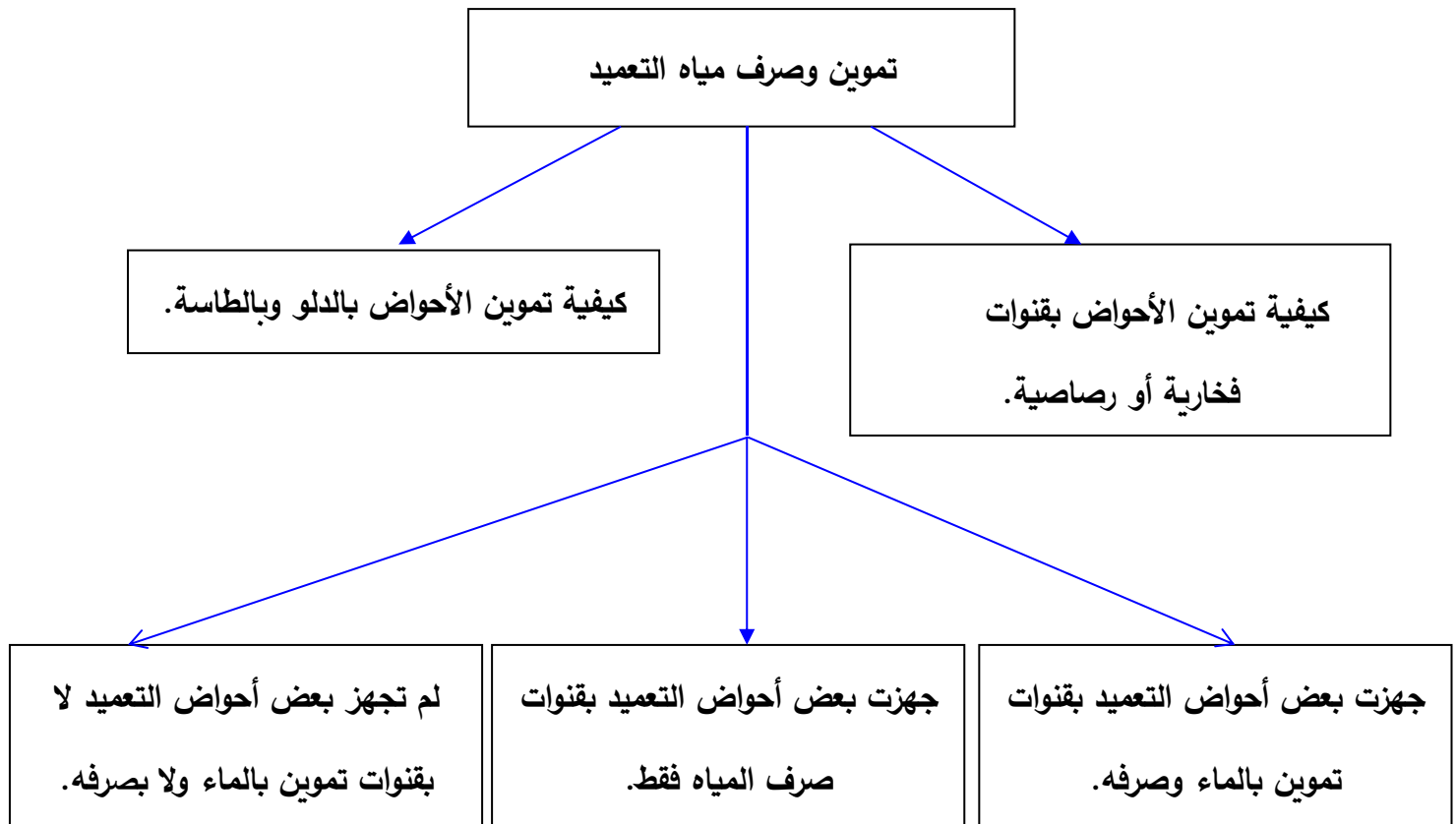
يعد بيت التعميد الملحق بالبازيليك المسيحية مبنى قائم بذاته. وهو المكان الذي يتحول فيه الشخص غير المسيحي إلى مسيحي بعد مروره عبر ثلاث مراحل طقسية أساسية، تقام كل مرحلة في غرفة من غرف بيت التعميد:

- وهي غرفة الانتظار التي تسمى بغرفة الكاتيشومينيوم، تسمى بغرفة الانتظار حيث تعتبر أول قاعة يلج إليها الموعوظ من الخارج لكي يتعمد. فهي عبارة عن غرفة إما مستطيلة أو مربعة الشكل، ينتظر بها الموعوظ المترشح للتعميد دوره، ففيها يذكر الموعوظ بالتعاليم الدينية التي حفظها ليقوم بالسر على أتم وجه ممكن. من الممكن، أن تكون جدران هذه الغرفة ملونة وبها مشاهد من الكتاب المقدس.

¹⁴- للمزيد من التفصيل حول هذه المرحلة يراجع: فورالي، حميدة، 2018، ص ص. 06-12.

¹⁵- يراجع الهامش 05.

• ثم الغرفة الثانية الرئيسة والتي تحتوي على حوض التعميد والمسماة بغرفة التعميد، هو عبارة عن حوض مائي يلج إليه الموعوظ المترشح وينزل إلى قاعه عبر درجات غالبا ما تكون بعدد فردي، عادة ما تكون ثلاث درجات، تلبط أرضيتها بالفسيفساء حيوانية بحرية أو نباتية، أما جدرانها فغالبا ما تكون مزخرفة بالجص أو تحمل مشاهد من الكتاب المقدس لها علاقة بسر التعميد. ويمكن تلخيص طريقة تموين وصرف مياه التعميد في هذه الغرفة حسب الشكل التالي:



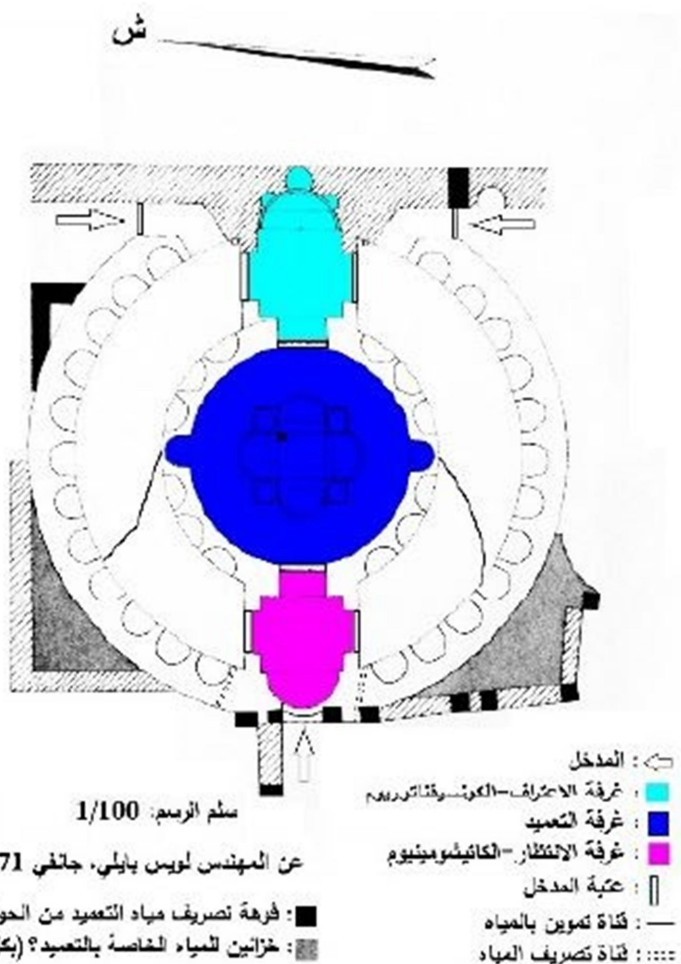
والغرفة الثالثة وهي غرفة الاعتراف بالدين المسيحي والتسجيل في قائمة المسيحيين لكل مجمع كنسي والمسماة بغرفة الكونسيقناتورويم، ومنها يدخل المسيحي في كنف الكنيسة المحلية. عادة ما يجلس الأسقف في هذه القاعة ليكمل السر، ويسجل المسيحي الجديد في الدفتر الكنسي ويصبح من اتباع كنيسة المدينة.

المعطيات الأثرية المعمارية:

اللافت للانتباه هي حالة حفظ المبنى الأثري انها جيدة. إلا أن مشكل تسرب مياه الأمطار والثلوج أثر في المبنى على الجدران وخاصة أرضية الفسيفساء. والملاحظ أن الجدران قد تم

ترميمها بشكل تقريبا كلي وهذا ظاهر من خلال الاسمنت في صفوف وضع الآجر.

يتميز مخطط بيت التعميد بالشكل الدائري (المخطط 02)، ومحدود من الشرق ومن الغرب بجدار مستقيم. يمتد بيت التعميد من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب على مساحة دائرية قدرها حوالي 490م². يتكون أساساً من رواق حلقي محفوف بحنايا نصف دائرية، الكل يؤطر في مركزه

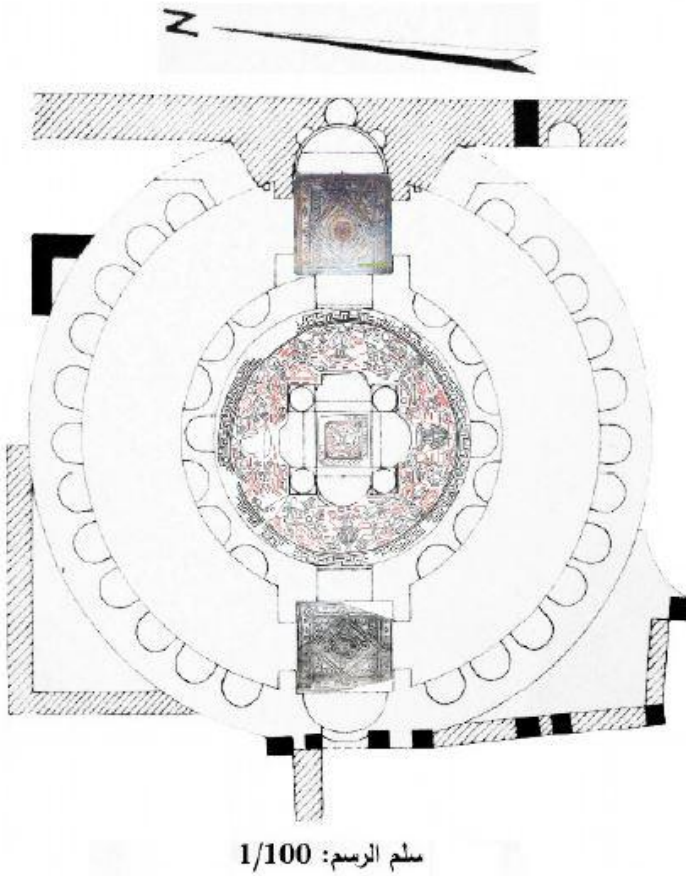


غرفة دائرية الشكل تحوي على حوض التعميد. تتميز جدران الرواق الحلقي وجدران غرفة التعميد بالسلك المعتبر. على الأرجح، كان يحمل أرضية الطابق الأعلى. بلط بيت التعميد بأرضية فسيفسائية (المخطط 03).

غرفة الانتظار=كاتشومينيوم:

بنيت جدران هذه الغرفة بالتقنية المختلطة (Opus mixtum) باستعمال مادتي الآجر والحجارة

الدبشية. بلطت أرضيتها بالفسيفساء الهندسية مع وجود كتابة في مركزها¹⁶.



يوجد ثلاثة مداخل رئيسة تؤدي من الخارج إلى الداخل والعكس، وتوجد مداخل ثانوية التي تربط بين مختلف غرف بيت التعميد والرواق الحلقى. حيث يوجد المدخل الرئيس لبيت التعميد من الجهة الغربية عبر مدخل يؤدي إلى القاعة الباردة (الفريجيداريوم) (المخطط 02).

سقت الغرفة بعقد متقاطع.

عن المهندس لويس بايلي، جانفي 1971م.
المخطط 03: يمثل غرف بيت التعميد بأرضيتها الفسيفسائية. عن: فورالي، حميدة، 2018م، لوحة 10، أ. تم ملئ المخطط بالفسيفساء من طرف الباحثة نفسها.

غرفة التعميد:

بعد الانتظار في غرفة الكاتشومينيوم، يدخل المترشح الى غرفة التعميد، تتميز بمخطط دائري بقطر 4.50م (المخططين 02، و03)، عبر مدخل عرضه حوالي 1م، تفتح دفعا الباب داخل غرفة الانتظار. الملاحظ في غرفة التعميد على المحور الشمالي-الجنوبي كوتين متناظرتين وبنفس الأبعاد (فتحتها 0.60م وعمقها 0.50م) كل واحدة مزودة بنقبة على ارتفاع حوالي

¹⁶- للمزيد من التفصيل حول صورة الكتابة يراجع: فورالي، حميدة، 2018م، لوحة 37، أ.

0.80م (الصورة 01)، يتمثل هذا الأخير في مكان مرور القناة المائية المصنوعة على الأرجح من مادة الرصاص الجالبة لماء التعميد حيث وجدت آثارها في أرضية الرواق الخلفي، يرجح أن هذه القناة كانت تصل إلى قبة الكيبوريوم لترش المترشح عند دخوله الحوض للتعميد على شكل زخات مطرية اصطناعية. إن وجود الكوتين إما لجلوس المترشح في إحداها وقراءة عليه



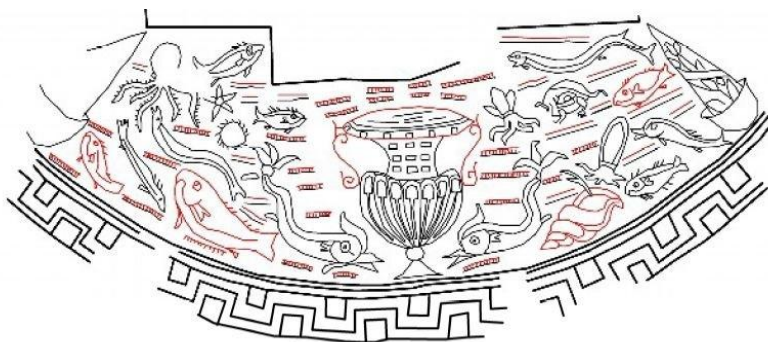
الصورة 01: يمثل إحدى كوات غرفة التعميد.
عن: فورالي، حميدة، 2018م، لوحة 37، ب.

التعويضات وينزع ملابسه القديمة وينزل إلى الحوض بإتباع المحور الجنوبي-الشمالي أو العكس، وعندما يكمل يصعد إلى الكوة المقابلة أين يلبس ثياب جديدة لأنه أصبح إنسانا جديدا ويطلق بالزيت المقدس، ثم يخرج من الغرفة متجها نحو غرفة الاعتراف. أو ربما لدخول أربعة مترشحين في آن واحد لوجود أربعة فصوص تبعا لمخطط الحوض، وتتم العملية بنفس الطريقة كل مترشح يخرج من الحوض من الجهة المقابلة له لكي لا يرجع من نفس المسار للدخول إلى الحوض.

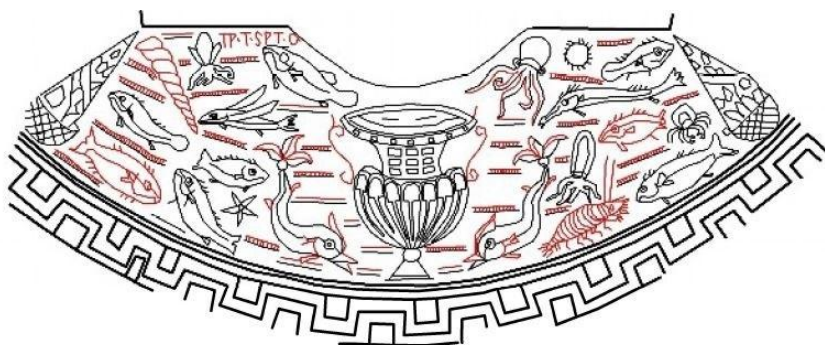
بلطت غرفة التعميد بأرضية فسيفسائية (المخطط 03) حيوانية، بنيت بإتقان، وبتناظر، تحيط بحوض التعميد. أنجز أمام كل ضلع للحوض كأس منتفخ البطن ومزخرف، فوهة الكأس متجهة نحو الحوض، ويوجد هكذا كؤوس في الجهات الأربع للحوض، أي كأسين أمام المدخلين الغربي والشرقي، وكأسين أمام الكوتين الشمالية والجنوبية لغرفة التعميد. يحف كل كأس دلفينين. من جهة أخرى، نجد قنديل البحر مبسط Méduse stylisée مرسومة مائلة على محور كل دعام الحوض. تحدد قناديل البحر المشاهد الأربعة لفسيفساء التبليط لغرفة التعميد التي تسبح فيها

الحيوانات البحرية حول الكؤوس (الشكل 01، و02، 03، 04). تتمثل هذه الحيوانات في:

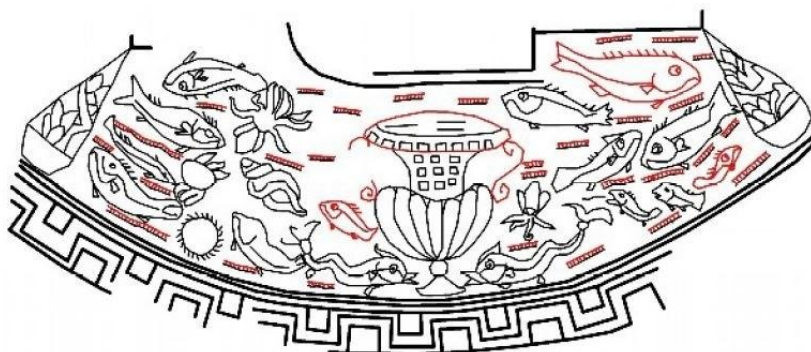
اسماك مختلفة، ونجوم البحر، وإخطبوطات، والأصداف¹⁷.



المشهد الغربي لفسيفاء التبليط لغرفة التعميد
عن: فورالي، حميدة، أوت 2017م.
الشكل 01: يمثل المشهد الغربي للأرضية الفسيفسائية لغرفة التعميد. عن: فورالي، حميدة، 2018م، لوحة 63، ب. تغريغ قامت به الباحثة.

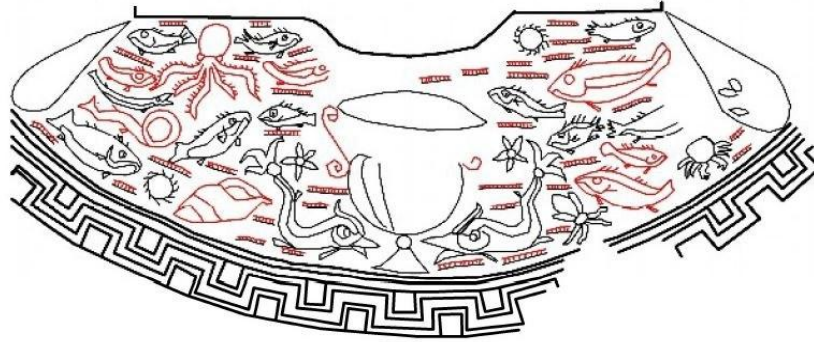


المشهد الجنوبي لفسيفاء التبليط لغرفة التعميد
عن: فورالي، حميدة، أوت 2017م.
الشكل 02: يمثل المشهد الجنوبي للأرضية الفسيفسائية لغرفة التعميد. عن: فورالي، حميدة، 2018م، لوحة 63، أ. تغريغ قامت به الباحثة.



المشهد الشرقي لفسيفاء التبليط لغرفة التعميد
عن: فورالي، حميدة، أوت 2017م.
الشكل 03: يمثل المشهد الشرقي للأرضية الفسيفسائية لغرفة التعميد. عن: فورالي، حميدة، 2018م، لوحة 63، ت. تغريغ قامت به الباحثة.

¹⁷- للمزيد من التفصيل حول وصف هذه الفسيفساء يراجع: فورالي، حميدة، 2018م، ص ص. 54-58.



المشهد الشمالي لفسيفساء التليط لغرفة التعميد
الشكل 04: يمثل المشهد الشمالي للأرضية الفسيفسائية لغرفة التعميد. عن: فورالي، حميدة، 2018م، لوحة 62، ب. تفريغ قامت به الباحثة.
عن: فورالي حميدة، أوت 2017م.



فسيفساء حوض التعميد في الموقع الأثري جملنا
عن فورالي حميدة، أوت 2017م.

الصورة 02: يمثل حوض التعميد وأرضيته الفسيفسائية.
عن: فورالي، حميدة، 2018م، لوحة 38، أ.

يوجد في مركزها حوض التعميد (الصورة 02)،
ترسم الأرضية عند كل درجة ضلع نصف دائري
ربما لإمكانية وجود حافة حجرية، لهذا نجد
الفسيفساء لا تستمر إلى غاية الدرجة الحالية
التي هي على نفس مستوى الأرضية.

لم نعث على قرافيت (Graffite) الذي تحدث

عنه السيد مونسو¹⁸ ولا الباحث فيل ألامان¹⁹،

وهي عبارة عن نقيشة: I(n) n(omine)

d(omi)ni ame(n) passasius lector in d(e)o vivat

الترجمة: باسم سيدنا أمين، باساسوس القارئ الذي يعيش في الله.

I N D N I A M E P A S S A S I V S L E C T O R I N
D O B I B A T

¹⁸ - MONCEAUX, P., 1922, pp. 386-391.

¹⁹ - VILLE-ALLAMAN, J-P., 1990.

بنيت الجدران بالتقنية المختلطة بجدران سميكة بـ 0.50م. وبني الحوض بالحجارة المنحوتة الضخمة. وبلطت أرضيتها بالفسيفساء الى غاية قاع الحوض.

يوجد مدخلين احدهما من الغرب، يؤدي إلى غرفة الانتظار، ويؤدي المدخل الشرقي إلى غرفة الاعتراف. أعيد بناء قبة الغرفة من طرف المهندس بالو²⁰.



الصورة 03: يمثل حوض التعميد والكيوريوسوم الذي يعلوه. عن: فورالي، حميدة، 2018م، لوحة 38، ب.

ينتمي مخطط حوض التعميد إلى المخططات المربعة الشكل في المركز (أبعاده: 2م×2م×0.75م عمق)، يتم النزول إليه عبر درجتين أبعادهما على التوالي: 0.36م و0.38م. يحف الحوض أربعة دعامات (أبعادهما: 0.75م×0.50م) موضوعة بزوايا قائمة مقارنة بالحوض المربع، يتميز هذا الحوض بوجود كيوريوسوم محمول فوق أعمدة مقننة بقواعد عبارة عن دعامات (أبعادهما: 0.75م×0.50م)، وبجذوع مقننة مرممة بطريقة جيدة ثم بتيجان كورنثية، الكل يحمل أرشيتراف سمكها 0.22م، والكل فوقه قبة مونوليتية على شكل عقد متقاطع (**الصورة 03**) ارتفاعها ابتداء من الأعمدة بـ 1.40م. عثر على الكيوريوسوم مكسرا إلى عدة أجزاء وتم ترميمه فيما بعد.

نحت في مركز العقد الذي هو عبارة عن نجمة ثمانية منحوتة نحتا بارزا خفيفا حلقة وظيفتها تعليق مصباح للإضاءة.

ينتمي حوض التعميد الى نمط رباعي الفصوص. والمغطى بكيوريوسوم من كتلة واحدة، يحتوي على ثلاث درجات من كل الجهات (الجهات الأربع) إلا أن الدرجة الثالثة اندثرت والتي تمثلت في الحافة.

²⁰ - BALLU, A., 1914, pp. 304-308.

الشيء الملفت للانتباه، وجود قناتين مائلتين محفورتين في أرضية كل رواق حلقي تقريبا متناظرتين (المخطط 02)، فالقناة الأولى الموجودة في الرواق الحلقي الشمالي من الجهة الغربية، تنطلق من أسفل الجدار الفاصل بين الكوة الرابعة والخامسة لتصل إلى جدار كوة غرفة التعميد الشمالية حيث وجدت آثار ثقب في هذا الجدار على ارتفاع 1.20م من أرضية الرواق الحلقي، والثانية الموجودة في الرواق الحلقي الجنوبي من الجهة الغربية، تنطلق من أسفل الكوة الرابعة لتصل إلى جدار كوة غرفة التعميد الجنوبية، حيث وجدت آثار ثقب في هذا الجدار على ارتفاع 1.20م. كما سجلنا وجود ثقبين: واحد أسفل الجدار الخارجي الشمالي بالقرب من المدخل الغربي لبيت التعميد عبارة قناة فخارية قطرها 0.15م لتصريف مياه بيت التعميد على مستوى الرواق الحلقي الشمالي، والثاني على مستوى أسفل الجدار القريب من المدخل الغربي لبيت التعميد كذلك عبارة عن قناة فخارية قطرها 0.20م لتصريف مياه بيت التعميد على مستوى الرواق الحلقي الجنوبي.

غرفة الاعتراف=كونسيقناتوريوم: (المخطط 02)

تشبه غرفة الانتظار من ناحية الأبعاد: 1.71م بدون احتساب الحنية (الحنية بعمق 0.80م)×1.71م. وحتى الأرضية مبلطة بالفسيفساء مماثلة إلا أنها لا تحتوي على كتابة.

وجد في الجهة الشرقية مقابل المدخل الرئيس الغربي على محور مستقيم شرق-غرب، غرفة التعميد ثم في النهاية الشرقية يوجد مكان جلوس الأسقف المشرف على طقوس التعميد، عن اليمين يوجد المدخل الجانبي الجنوبي المؤدي إلى الفناء الجنوبي، وعن اليسار يوجد المدخل الشمالي المؤدي إلى الفناء الشمالي، على مستوى كل مدخل جهة الفناء توجد كوة في الجدار الشرقي لبيت التعميد (المخطط 02).

تنتهي غرفة أو مكان جلوس الأسقف المشرف على عملية التعميد بحنية مبنية في الجدار الشرقي لبيت التعميد أبعادها: 3.30م× القاعدة 1.56م، هذه الأخيرة مجهزة بثلاث كوات

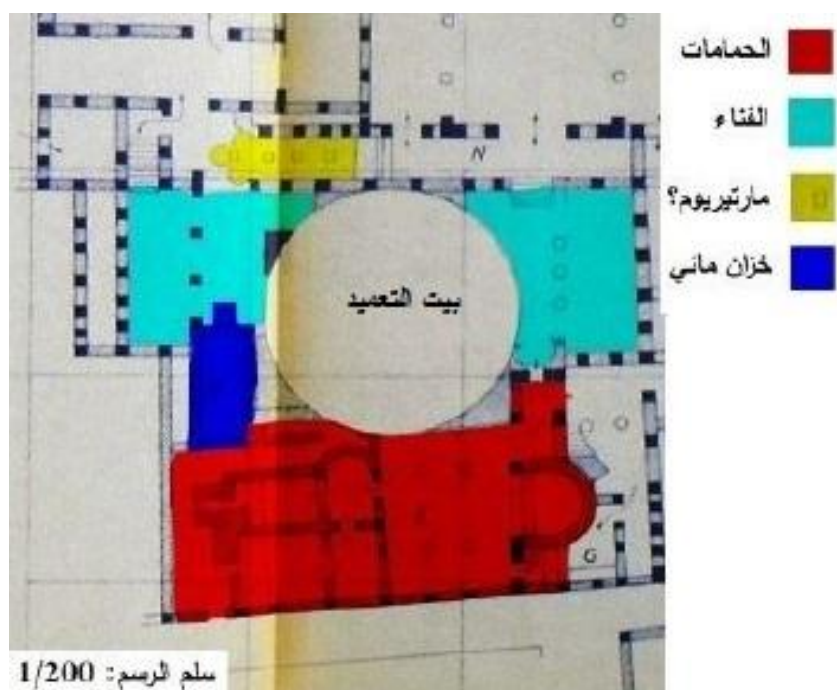
متوضعة كالأتي: الكوة الرئيسية في المركز أبعادها: 1.74م ارتفاع×0.79م عرض×0.54م عمق، وكوتين متشابهتين على جانبي الكوة الرئيسية أبعادهما: 0.84م ارتفاع×0.20م عمق، توجد على أرضية الحنية بلاطة حجرية مستطيلة الشكل (المخطط 02).

يمكن من خلال هذا التوزيع للكوات تخيل كرسي الأسقف موضوع فوق البلاطة الحجرية في وسط الحنية والكوات مضاءة حوله بالمصابيح.

بنيت جدرانها بالتقنية المختلطة، وبلطت أرضيتها بالفسيساء في الغرفة المربعة، وإنما في الحنية فهي مبلطة بالحجارة المنحوتة. وسقفت بعقد متقاطع.

الملحقات:

تتمثل ملحقات بيت التعميد (المخطط 04) في: فناءين (شمالي وجنوبي)، وحمامات ومارتيريوم؟ وخزان مائي مزود بمنتفس مربع الشكل يطل على الفناء الشمالي.



المخطط 04: يمثل بيت التعميد وملحقاته. عن: فورالي، حميدة، 2018م، لوحة 09، ب.

يحف بيت التعميد فناء من الشمال مزود بدعامين مربعين، ويطل هذا الفناء على خزان مياه الحمامات المستطيل الشكل. أما من الجنوب، فيحف بيت التعميد فناء مزود برواق معمد بثلاثة أعمدة، أبعاده: 7.80×5.75 م، وفيه يفتح مدخل يربط بين البازيليكا عبر نارتكسها وبيت التعميد، حيث يوجد هذا المدخل على محور المدخل الرئيس للبازيليكا الشمالية، زود هذا المدخل جهة الفناء بدرج بست درجات ارتفاعها 1.75 م.

يوجد مدخل في الجدار الغربي للفناء الجنوبي يفتح بمدخل محفوف بجدارين مقعرين ينتهيان بعمودين، يسمح المهندس بالولوج إلى القاعة الباردة للحمامات الصغيرة، والتي من خلالها يتم الدخول إلى بيت التعميد من مدخله الغربي.

يتكون مخطط الحمامات من أربع قاعات يؤدي إليها عبر ممر ذو مخطط منكسر. توجد القاعات الساخنة في الجهة الشمالية، أبعادها: 2.68×1.67 م، و 2.60×2.40 م، و 3.78×2.30 م، و 3.73×3.21 م، أما القاعتين الأخيرتين، كانت ربما خاصة بالهيبوكست عمقها على التوالي: 1.33 م و 1.64 م.

تشرف النهاية الشمالية للجدار المستقيم الشرقي على قاعة سردابية بلا سقف يعتقد على أنها مارتيروم، وتحتوي على ثلاثة كوات نصف دائرية تشكل تريكوم على شكل ورقة نفلية الشكل قممتها نحو الشمال (**المخطط 04**). في محور الكوة المركزية الشمالية يمتد صف من الدعامات مربعة الشكل حيث يوجد الدعام الأول مباشرة في الكوة.

يوجد شرق هذه القاعات خزان مستطيل الشكل مزود بملحقة بنائية مربعة الشكل عبارة عن متنفس (Siphon)، حيث كان هذا الأخير يضمن التموين بالمياه للحمامات وربما أيضاً لبيت التعميد؟ بنيت القاعة الباردة غرب بيت التعميد وجنوب القاعات الساخنة، زودت هذه القاعة بمسبح نصف دائري يتم النزول إليه عبر ثلاث درجات. تعتبر الأرضية الإسمنتية الوردية اللون للقاعة الباردة أصلية. توجد قناة فخارية في الجهة الشمالية-الغربية لبيت التعميد خلف الحوض

نصف الدائري للقاعة الساخنة، هذه القناة مهشمة نظرا لحالة المكان اليوم. هذا ما يدل على تصريف مياه بيت التعميد في الحمامات الصغيرة.

بعد المعاينة الميدانية، نلاحظ كما لاحظ الباحث فيل-ألامان عدم تجانس مبنى بيت التعميد والحمامات، ولا يبدو أن الحمامات، قد استعملت في نفس الوقت مع بيت التعميد. والسؤال المطروح: هل تم بناء الحمامات قبل بيت التعميد أو بعد أو في نفس الوقت، وهل كانت لها دور في الجانب الليتورجي للتعميد؟

هُيئت خلف حنية المسبح مساحة على شكل ممر ذو مخطط مستطيل يفتح على مجاز مشترك بين البازيليكا (مدخل الجهة الغربية للمجمع الكنسي). يوجد هذا المجاز أيضا على محور المدخل الجانبي للغرفة الخدمية الشمالية للبازيليكا المسيحية الثالثة. زين هذا الممر المستطيل الشكل بعمودين، حيث نلاحظ درج نصف إهليجي الشكل مسند على جدار حنية المسبح، من المرجح، بني في فترة متأخرة مقارنة بفترة بناء المسبح، وكان يؤدي إلى طابق أعلى، حيث لا وجود له اليوم. في نهاية الممر، توجد غرفة مراحيض تتكون من مقعدين وغرفة مربعة الشكل. توجد دعامة مبنية بالحجارة المنحوتة (تقنية الكوادراتوم) ملاصقة للجدار الشمالي أبعاده 2.45م×2.06م، على الأرجح كان يحمل أرضية الطابق الأعلى.

الرواق الحلقي:

يتميز مخطط بيت التعميد بالشكل الدائري المزدوج: جدار خارجي وآخر داخلي وبين الجدارين نتج رواق حلقي، أما الجدار الداخلي فهو جدار غرفة التعميد سمكه 0.50م، أما الجدار الخارجي فسمكه هو 1م. بني في الجدار الخارجي سواء الشمالي أو الجنوبي اثني عشرة كوة نصف اسطوانية تنتهي بقبيبة (نصف قبة). أما في الجدار الداخلي فتوجد ست كوات مقابلة لأثنى عشرة كوة في الجدار الخارجي. أما تسقيف الرواق الحلقي لا يستند إلى أي دليل أثري.

الكوات:



الصورة 04: يمثل إحدى الوصلات الحاملة في الرواق الحلقي جهة الكوات وجزء من الجص الملون. عن: فورالي، حميدة، 2018م، لوحة 39، أ.

أبعادها: 2.04م ارتفاع $\times$ 0.785م فتحة الكوة $\times$ 0.535م عمق. تتخللها جدران فاصلة سمكها 0.28م إلى 0.30م، والتي بدورها تمثل واجهات فتحة الكوات، حيث بني دعام من الآجر كزخرفة لهذا الجدار الفاصل، ففيه نجد نتوء بارز منحوت=وصلة حاملة على شكل ورقة الأكنثة مقلوبة نحو الأسفل وظيفتها حمل المصباح

للإضاءة (الصورة 04).

نلاحظ أيضا دعامات تزين إطار المدخلين الجانبيين لبيت التعميد الشمالي والجنوبي في الجهة الشرقية للبيت.

تحتوي الكوات على مقاعد مبنية بأربعة صفوف من الحجارة الدبشية المتوسطة الحجم، وتوجد على ارتفاع من أرضية الرواق الحلقي بـ 0.38م. بني جدار الكوة الاسطواني الشكل



الصورة 05: يمثل جزء من أرضية الرواق الحلقي. عن: فورالي، حميدة، 2018م، ص. 53.

بمادة الآجر، ويتخللها في وسطه شكل الصليب لاتيني مبني بالحجارة الدبشية، بنيت قبية الكوات بالحجارة الدبشية، أما قوس واجهاتها فهو من مادة الآجر. كانت كل الكوات مغطاة بطبقة من الجص المزخرف والملون، أما المزخرف، فنجدته في شكل الصدفة التي كانت تزين القبيبات، أما فيما يخص الملون فقد وجدنا أثناء المعاينة الميدانية جزء صغير ملون (الصورة 04). بلطت أرضية الرواق الحلقي

بفسيفساء هندسية الشكل. تتكون هذه الأرضية الفسيفسائية من تكرار عنصر المهم وهو مربع يحتوي على الصلبان المالطية وصلبان مالطية مزودة في مركزها بعلامة السفاستيكا. كل مربع يحتوي على أربعة صلبان مالطية مبسطة متناظرة مقارنة بالصليب المالطي المزود بالسفاستيكا الموجود في المركز. تتصل المربعات فيما بينها بواسطة الصليب المالطي المزود بالسفاستيكا حيث تتكون اذرعه من تيجان نباتية تنتهي بورقة تشبه ورقة نبات اللبلاب. حُفَّت المربعات بخط اسود اللون، ثم من خطين أصفرين ومنه خط ابيض، أما فيما يخص مركز الصليب فهو صليب ابيض اللون محفوف باللون الاسود. أما فيما يخص الصلبان السفاستيكا فهي ملونة كالآتي: خط اسود يؤطر الخط الأصفر، حتى أن التيجان النباتية صفراء اللون مؤطرة باللون الأسود (الصورة 05).

أرخ بيت التعميد إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين، لاتصاله ومعاصرته لبازيليكتين المجمع. فمن الجانب العماري، يؤرخ إلى القرن السادس الميلادي حسب شكل حوض التعميد الرباعي الفصوص. وإلى القرن الخامس الميلادي حسب فسيفساء التبليط.

تمثل فسيفساء بيت التعميد أساساً ثروة حيوانية بحرية غنية: من وجهة نظر الأسلوب، حضور الكؤوس ذات العروات المزخرفة تدل على تأريخ يرجع إلى الفترة المتأخرة ولكن غير محددة. لا نعرف أرضيات بنفس الكيفية في بيوت التعميد الأخرى لكي نستطيع مقارنتها، إلا انه توجد أرضيات تتشابه فقط من خلال وجود الحيوانات البحرية، ولكن التقنية والأسلوب يختلفان وذلك في كل من بيوت التعميد لموقع تيبازة وذلك لموقع قليبية بتونس.

اللقى الأثرية المكتشفة في المبنى أو الضواحي: بطاقات تقنية تابعة لبطاقة بيت التعميد.

وجدت عدة لقى أثرية مهمة في الجهة الجنوبية للمدينة أين يوجد المجمع الكنسي، ولكن من دون إعطاء مكان الاكتشاف بالضبط، الا انها اكتشفت في بيت التعميد أو في ضواحيه المباشرة بدون التركيز على المكان بالضبط او الطباقية الاثرية، ولكن هذا لا ينفي أن نحيل القارئ إلى

دراستين مرحلة ماجستير تناولت معظم هذه اللقى، من خلالهما يستطيع ربط هذه الأخيرة بالمبنى، للتوضيح لديه وظيفته في هذه الفترة، وهي: إخرابان محند اكلي، جرد التحف الأثرية المعروضة بمتحف موقع جميلة (كويكول القديمة)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007م-2008م. ورسالة ثانية: فورالي حميدة، جرد المصابيح المسيحية المعروضة في كل من المتحف الوطني لسيرتا ومتحف موقع جميلة الأثري، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011م-2012م.

الخاتمة:

يمثل بيت التعميد في الحي المسيحي بمدينة كويكول نموذجًا مميزًا يعكس التكامل بين العمارة والطقوس الدينية في الفترة المسيحية القديمة. فقد تم بناؤه ضمن مجمع كنسي يضم ثلاث بازيليكات، حيث يرتبط مباشرة بالبازيليكا المسيحية الأولى عبر مدخل يؤدي إلى النارتكس. ويؤكد هذا الارتباط المعماري الدور الأساسي لبيت التعميد في ممارسة الطقوس الدينية، خاصة وأنه يتكون من ثلاث غرف رئيسة تجسد مراحل الدخول إلى المسيحية: غرفة الانتظار (الكاتيشومينيوم)، غرفة التعميد، وغرفة الاعتراف (الكونسيقناتوريوم).

يتميز المبنى بمخطط دائري مزدوج الجدران، حيث يحيط بالرواق الحلقي عدد من الكوات النصف دائرية التي تلعب دورًا وظيفيًا وزخرفيًا. وقد بُني باستخدام تقنية البناء المختلط (Opus mixtum) التي تجمع بين الحجر والبشية، ما يعكس مستوى معماريا من التقنيات البنائية في تلك الفترة. كما أن استخدام الفسيفساء الملونة لتبليط الأرضيات وإضافة عناصر زخرفية بالجص يؤكد على العناية الفنية والدلالة الرمزية لتي كان يرمي بها البناء الفنان الى وضع المبنى في محتواه الطقسي.

يعتبر حوض التعميد العنصر المركزي في بيت التعميد، وهو من النوع رباعي الفصوص، يتم النزول إليه عبر درجات متدرجة تعكس مراحل الطقس الديني. كما أن الحوض مزود بقناة مائية يعتقد أنها كانت تُستخدم لرش الماء المقدس على المترشحين للتعميد. أما وجود كيبوريوم (غطاء مقبب) محمول على أعمدة مقننة، فهو يضيف بعداً طقسياً ورمزياً مهماً، إذ يرمز إلى الاحتفاء بالموعوظ أثناء طقوس التعميد.

تتميز الزخرفة في بيت التعميد بترائها الرموز المسيحية، خاصة في الفسيفساء الأرضية التي تتضمن أشكال الصليبان المالطية، والأنماط الهندسية، ومشاهد للحياة البحرية مثل الأسماك والأخطبوطات ونجوم البحر، ما يعكس دور الماء المهم في حياة المسيحي. أما القباب والكوات، فقد زُخرفت بالجص الملون والنقوش الهندسية، لكي يوضع المسيحي الجديد في طابع روحي والكل يساعده على الارتقاء إيماناً للقيام بالتعميد.

ورغم أن المبنى في حالة حفظ جيدة، إلا أن تسرب مياه الأمطار والثلوج أثر على الجدران وأرضيات الفسيفساء، مما يستدعي جهوداً إضافية للحفاظ على تفاصيله المعمارية والفنية. كما أن أعمال الترميم السابقة، التي استخدمت فيها مواد حديثة مثل الإسمنت، قد غيرت جزئياً بعض معالم البناء الأصلية، ما يستوجب تدخلات ترميمية أكثر دقة تحافظ على أصالة الموقع.

من ناحية أخرى، تطرح العلاقة بين بيت التعميد والحمامات الصغيرة المجاورة تساؤلات حول التداخل الوظيفي والزمني بينهما. فالمعطيات الأثرية تشير إلى عدم تجانس المبنىين، مما قد يدل على أنهما لم يُستخدما في نفس الفترة الزمنية، أو ربما كانت للحمامات وظيفة تكاملية مع طقوس التعميد.

بصورة عامة، يعكس بيت التعميد في كويكول مستوى متقدماً من العمارة الدينية المسيحية، حيث يجمع بين التنظيم الدقيق للطقوس الدينية والابتكار في التصميم الهندسي. كما يُعد شاهداً أثرياً مهماً على تطور الطقوس المسيحية في بلاد المغرب القديم، ما يجعل إعادة دراسته

ضرورة لفهم التغيرات الدينية والمعمارية التي شهدتها المنطقة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين.

قائمة المراجع:

1. إخران، محند أكلي، 2008م، "جرد التحف الأثرية المعروضة بمتحف جميلة الأثري (كويكول القديمة)"، مذكرة ماجستير في الآثار القديمة غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر.
2. حاجي، ياسين رابح، 2008م، "البازيليكات المسيحية في مقاطعة نوميديا دراسة أثرية تنميطية"، أطروحة دكتوراه شهادة في الآثار القديمة غير منشورة، معهد الآثار، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 02.
3. فورالي، حميدة، 2012م، "جرد المصابيح المسيحية المعروضة في كل من المتحف الوطني لسيرتا ومتحف موقع جميلة الأثري"، مذكرة ماجستير في الآثار القديمة غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02.
4. BALLU, A., 1914, «Rapport sur les fouilles exécutées en 1913, par le service des monuments historiques de l'Algérie», in BCTH, pp. 304-308.
5. BLANCHARD-LEMEE, M., 1975, Maisons à mosaïques du quartier central de Djemila (Cuicul), Paris.
6. CASTELFRANCHI, M-F., 1980, BAPTISTHIA intorno ai più noti battisteri dell'oriente, Roma.
7. DE BRUYNE, L., 1957, «La décoration des baptistères paléochrétiens», in Actes du V CIAC, Aix-en-Provence 13-19 septembre 1954, Citta del Vaticano, Paris, pp. 341-369.
8. IAMANIDZÉ, N., 2010, Les installations liturgiques sculptées des églises de Géorgie (VI-XIII siècles), Turnhout.
9. LECLERCQ, H. ; CABROL, F., 1925, Dictionnaire d'archéologie chrétienne et de liturgie, II, Paris.
10. MONCEAUX, P., 1922, «Découverte d'un groupe d'édifice chrétiens à Djemila», in CRAI, 66e année, 5, 1922, pp. 380-407.
11. SAXER, V., 1985, «L'initiation chrétienne du II au VI siècle: esquisse historique des rites et de leur signification», in Settimane di studio del centro italiano

di studi sull'arto mediavo XXXIII, «seguì e riti nella chiesa altomedievale occidentale», Spoleto, 11-17 Aprile, pp. 173-205.

12. TERTULLIEN, 1952, Traité du baptême, trad. REFOULE, R. F. et DROUZY, M., Paris.
13. VILLE-ALLAMAN, J-P., 1990, Monuments chrétiens de Djémila-Cuicul, I, Thèse de doctorat non publiée 3^{ième} cycle, Aix-en-Provence.